وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باجي مختار- عنابة

BADJI MOKHTAR-ANNABA UNIVERSITY
UNIVERSITE BADJI MOKHTAR ANNABA

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

مجموعة محاضرات في الأدب الشعبي المغاربي

المستوى: السنة الثالثة (ل، م، د)

التخصص: دراسات أدبية

الدكتورة: بريكة بومادة

السنة الجامعية

2020-2019

المحاضرة الأولى:

المنهج الوظائفي

إن الثقافة طريق متميز لحياة الجماعة ونمط متكامل لحياة الأفراد ، يعتمد وجودها أساسا على وجود مجتمع تزوده بما يلزمه لبث الحياة فيها، إذ لا فرق في ذلك بين الثقافة البدائية والحديثة التي تتفق في العموميات وتختلف في التفاصيل .

ولقد حظيت الثقافة في الماضي باهتمام علماء الأنثربولوجيا الذين ركزوا اهتمامهم على دراسة المجتمعات البدائية ولذلك " اختلف الغربيون في الحكم على الشعوب المسماة بالبدائية ويمكن أن نصنف الأفكار التي راجت عندهم قبل ميلاد الأثنولوجيا في اتجاهين اثنين :

- اتجاه يعد هذه الشعوب منحطة واقرب إلى العجماوات منها إلى الإنسان ، وهكذا تم وصفها بأنها متوحشة ويستحيل تحضر أبنائها ولذا يجب استعبادهم إلى الأبد .

لقد اعتبر المعمرون الأسبان مثلا في بعض جزر العالم الجديد أن النساء الأهليات لسن مخلوقات عاقلة واحتجوا على محاولة منعهم من إجبار الأهالي على العمل قائلين :" ما هذا ألا نستطيع استخدام البهائم ؟ "

- اتجاه يمجد الأهليين ويعد طريقة حياتهم نموذجا يحتدى به ، لقد نظر الرحالة المتأثرون بصورة الفردوس المفقود إلى البدائيين نظرة الولهان ، فكان ما حكوه عن سكان بعض الجزر خصوصا منبعا لأسطورة " التوحش الطيب " التي قام عليها كثير من النظريات اللامعة التي هزت أوروبا طيلة ثلاثة قرون . "

وليس من المبالغة القول بان الدراسات التي اهتمت بالتراث الشعبي العربي والخاصة بهذا الشعب أو ذاك والتي نشرت في بعض المجلات العربية المتخصصة لا تزاحم غيرها من الدراسات

في المجالات المعرفية الأخرى لا من حيث العدد – فهي قليلة جدا – ولا من حيث الدقة والشمولية وطرافة البحث .

بل إن أغلب هذه الدراسات هو مجرد ترجمة حرفية لدراسات باللغتين الانجليزية والفرنسية قدمت اقتراحات لمناهج نظرية تناولت بعض أغراض التراث الشعبي المادي واللامادي وفي مجالات عديدة كالحكايات الشعبية والعادات والتقاليد والتداوي الشعبي والرموز الشعبية المختلفة ،" والملاحظ أن تسليط هذه المناهج النظرية على الموروث الشعبي العربي دون إعادة تصويب لبعض من جوانبها حسب ما تختص به ثقافة التراث الشعبي العربي وآلياته ، لم يكن في أغلب الحالات صائبا ."3

ومما لا شك فيه إن كل أدب يتسم بسمة القوة والشمولية ، إذ يمتد في الآداب الأخرى ويتصل بالتراث الأدبي العالمي يفيد منه ليكمل عناصر ثراءه وقوته " فلا ينطوي أدب على نفسه في عصر من عصوره إلا أصابه الوهن والذبول "

لذلك فان المناهج التي ترجمت إلى العربية نقلت حرفيا ولم ينظر فيها إلى خصوصية المادة التي تطبق عليها هذه المناهج الغربية، إذ المفروض أن المنهج هو من يخضع للمادة المطبق عليها وليس العكس ، ولذلك يقول احد الدارسين : " وفي الحقيقة أن المرء لا يترجم لغات بل يترجم ثقافات"

لقد حملت الترجمة على عاتقها هم نقل هذه المناهج الغربية وتطبيقها مباشرة على التراث العربي مما أوقعنا في ضائقة الاستهلاك وعدم المحاولة فنحن نترجم ونطبق على نصوص عربية لها خصوصيتها ذلك أنها حاملة لمكونات معرفية متفردة تفرض على النقاد التعامل معها بحذر شديد وليس كل ما يصلح أن يقال عن نص أدبي غربي بالضرورة يصلح حين نتعامل مع نص عربي له عالمه التخييلي و أدواته ومواهبه والياته إلى جانب الفضاء اللغوي الذي يفترض فيه سلفا أن تكون حقوله اللسانية والتركيبية واللغوية مشخصة سلفا وبوضوح .

إن العلاقة التي تربطنا بالمناهج الغربية هي علاقة استهلاك ومحاكاة ، لا علاقة تفاعل وإبداع .ولذلك فنحن مطالبون بالفهم قبل التفسير ، وعلى الفهم أن يتأسس على قاعدة مهمة جدا وهي الانطلاق من النص وليس من معرفتنا الجاهزة والعامة عنه .

المنهج الوظائفي :

إن ثراء الحكايات الشعبية وتعدد أشكالها جعل الباحثين يضعون لدراستها مناهج متعددة تختلف باختلاف أهدافهم وتوجهاتهم المعرفية ، ومن بين أشهر هذه المناهج التي خدمت الدراسات التطبيقية على القصص نجد النظرية الشكلية التي تزعمها فلاديمير بروب .

ولد بروب في 17 أفريل 1895 في مدينة بيترسبرغ من عائلة تنحدر من أصول ألمانية ، تخرج من جامعة لنينغراد عام 1913 بدرجة في علم فقه اللغة الألمانية والروسية ، ثم التحق بهيئة التدريس لقسم فقه اللغة وبعد عام أصبح محاضرا في شعبة الفولكلور ، وقد نال درجة الدكتوراه وبرسالة بعنوان " أصل الحكاية الخرافية " .

ألف بروب مؤلفات قليلة إلا أنها مهمة لما تتميز به من نضج فكري وترابط داخلي ، من أهمها :

- " مورفولوجيا الحكاية الشعبية " 1928
- " الجذور التاريخية للحكاية الخرافية الروسية " 1946
- " الملحمة البطولية الشعبية الروسية " 1955
- " الاحتفالات الزراعية الروسية " 1963
- " قضايا الضحك والكوميديا " 1976

أساسيات المنهج الوظائفي:

لقد قام بروب بجمع العديد من الحكايات الخرافية الروسية وطبق عليها المنهج المورفولوجي مركزا على الجانب الوصفي والذي كان أول هدفه من الدراسة ، " وليس من الضروري البرهنة على أنه لا يمكن الحديث عن أصل ظاهرة ما إلا بعد وصف تلك الظاهرة"[1]

وقد قامت هذه الدراسة على التمييز بين الثوابت والمتغيرات في الحكاية الخرافية ، فالعناصر الثابتة تتجلى في الوظائف أما المتغيرات فهي العناصر التي تحضر وتغيب ، فهي غير ثابتة ونجدها تختلف من حكاية إلى أخرى حيث تتغير الشخوص والأوصاف والأسماء والأدوات وكذا الزمان والمكان ، ويظهر هذا من " أن الشخصية كيان متحول ...فهي متغيرة من حيث الأسماء والهيئات و أشكال التجلي " – أما الوظائف التي تتمثل في الأفعال والحركات فهي تظل ثابتة لذلك ركز بروب على" الوظيفة "كوحدة أساسية لدراسة الحكاية ،" والوظيفة تفهم على أنها فعل الشخصية تعرف من وجهة نظر أهميتها لمسيرة الفعل " أي أن الحدث والفعل لا يعتبر وظيفة إلا اذا كان مرتبطا بسلسلة من الأحداث المبرزة له ، ومن خلال الأحداث اللاحقة الناتجة عنه ، ومن ثم قام بروب باستخلاص الوظائف التي تتكون منها الحكاية حتى يتمكن من الدراسة والتحليل ، فكان أول ما ركز عليه هو عنصر الوظيفة باعتبار أنها ثابتة وقد حددها بواحد و ثلاثين وظيفة ، فالحكاية لا يمكن أن تتجاوز هذا العدد من الوظائف بينما يمكنها أن تتخلى عن بعض الوظائف بشرط أن تحافظ بقية الوظائف على ترتيبها .

"وتعتبر أهم وظيفة بالنسبة لمنهج بروب هي وظيفة الشر ورمزها وتعتبر هذه الوظيفة مهمة للغاية إذ عن طريقها تنشأ الحركة الفعلية للحكاية "[2].

ما الوظائف السبع الأولى المتمثلة في "الرحيل" ، "المنع"، "الخرق" ، "الإثم"، "الاستخبار"، "الاطلاع" ، "الخداع" تعتبر القسم التحضيري للحكاية ، بينما تكون العقدة حال وقوع الإساءة التي ترد في أشكال مختلفة.

-كما نجد الوظائف (8-9-10- 11)، (وهي يتسبب الشرير في إلحاق الأذى او الضرر ، إعلان سوء الحظ أو فقدان التوازن ، البطل يقرر قبول المهمة ،يغادر البطل الوطن) أنها تمثل عقدة الحكاية التي من خلالها تتأزم الأحداث وتقع الإساءة ويتم إعلان سوء الحظ ويبدأ الفعل المضاد الذي يليه مغادرة البطل أرض الوطن .

وقد توصل بروب من خلال تحليله إلى أن عددا كبيرا من الوظائف منظمة في أزواج مثل (المنع ، الخرق) ، (الاستطلاع ، الحصول) ،(المطاردة ، الانتقاد) ، (الصراع ، الانتصار) كما قد نجد وظائف فردية مثل الغياب ، العقاب ، الزواج .

كما لاحظ أن الحكاية الشعبية تبدأ بنوع من الاستهلال وهو عبارة عن عرض مبدئي لوضعية العائلة أو تقدم اسم البطل وصفاته وهذا الاستهلال لا يعتبر وظيفة ومع ذلك فهو عنصر مهم من عناصر الحكاية .

- عناصر مساعدة تتكرر ثلاث مرات:

وهي عناصر لا يمكن اعتبارها وحدات وظيفية لأنها عناصر مساعدة تقوم على تكرار الفعل في الحكاية ، ويمكن أن يظهر التكرار بطبيعة وصفية مثلا (تنين له ثلاث رؤوس) ويمكن أن يظهر التكرار كتوزيع متساو (ثلاث مهمات ، ثلاث سنوات خدمة) ، وكتراكم (المهمة الثالثة هي الأصعب والمعركة الثالثة هي الأسوأ) أو يمكن أن تنتج نتائج سيئة مرتين قبل الثالثة، وهي النتيجة الفائزة)[3]

- الدوافع :

يقصد بروب بالدوافع " أسباب و أهداف الشخصيات التي تجعلها تقوم بأفعال مختلفة ، وغالبا ما تضيف الدوافع للحكاية لونا مميزا ، ولكنها مع ذلك تنتمي لأكثر العناصر تغييرا وعدم استقرار في الحكاية ، بالإضافة إلى ذلك فهي تمثل عنصرا أقل دقة وتحديد من الوظائف أو الروابط "

تحليل حكاية شعبية تحليلا وظائفيا :

عنوان الحكاية:" الرجل وبناته السبعة "

الملخص:

يحكى قديما أن هناك رجلا له سبعة بنات ، وفي أحد الأيام قرر الذهاب إلى الحج ، وأوصاهن بعدم فتح الباب ، ولكن البنات الست خالفن أمر والدهن وفتحن الباب للغولة ، فكان مصيرهن الموت ، ما عدا الفتاة السابعة التي عارضت قرار البنات ، وتفطنت لخدعة الغولة وهربت من قبضتها ، وتلقت المساعدة من طرف الثعبان الذي قام بقتل الغولة .

وبعد مرور الزمن كبرت الفتاة وأصبحت امرأة جميلة ، فراتها الغزالة وغارت منها ودبرت لها مكيدة إلا أن الفتاة تمكنت من الرد عليها بمساعدة الثعبان ، فغضبت الغزالة وأخبرت ابن السلطان بأمر الفتاة ، فذهب إليها وفور رؤيته لها أعجب بها وطلب يدها للزواج فقبلت وقام بمعاقبة الغزالة بذبحها ، وعاشت الفتاة مع ابن السلطان في سعادة وهناء .

تقسيم النص :

-**الحالة الاستهلالية :** تبدأ الحكاية بتقديم أفراد الأسرة المتكونة من الأب وسبع بنات .

المقطع الأول:

1 – وظيفة رحيل : يقرر الوالد الذهاب إلى الحج .

2 - وظيفة المنع : يمنع الوالد بناته من الخروج من البيت .

3 – وظيفة خرق المنع : تخالف البنات توصيات الوالد ويفتحن الباب للغولة .

نلاحظ أن المقطوعة الأولى عبارة عن تمهيد لأحداث الحكاية ، حيث تبدأ بالحديث عن رحيل الوالد إلى الحج لأداء مناسك الحج ، فيجد الوالد نفسه مضطرا إلى منع بناته من الخروج من البيت أو فتح الباب لأي غريب خوفا عليهن من أي ضرر قد يصيبهن ، فوفر لهن كل ما يحتجن إليه من لوازم ، لتأتي بعد ذلك وظيفة خرق المنع فتقوم الفتيات بفتح الباب للغولة التي ادعت أنها خالتهن .

المقطع الثاني:

تدخل الغولة إلى المنزل بعد ادعاءها أنها خالة البنات إلا أن الفتاة السابعة تفطنت للخدعة.

1 – وظيفة الخداع : تخدع الغولة البنات وتدعي أنها خالتهن .

2 – وظيفة تواطؤ عفوي : تفتح البنات الست الباب للغولة وتصدقن مزاعم الغولة .

3 – وظيفة الإساءة : تلتهم الغولة الفتيات الستة .

4 – وظيفة الهروب : تكشف الفتاة السابعة حيلة الغولة وتفر من قبضتها .

في هذه المقطوعة نرى أن الغولة تقمصت شخصية الخالة قاصدة من وراء ذلك التهام الفتيات، إلا ان خطتها في بداية الأمر باءت بالفشل لوجود شخصيات مضادة منعتها من دخول المنزل وهم الكلب الوفي ، باب الدار المغلق ، البنت السابعة .

الرغبة (التهام الفتيات السبعة)

المعارضون : **المساعدون**

باب الدار المغلق - تقمص الغولة دور الخالة

الكلب - بلاهة الفتيات الست

البنت السابعة

المقطع الثالث:

يبدأ هدا المقطع بفرار الفتاة السابعة من قبضة الغولة وعليه ترد وظائف هذا المقطع على النحو التالي:

1 – وظيفة مطاردة : تطارد الغولة الفتاة السابعة .

2 – وظيفة طلب النجدة : تطلب الفتاة السابعة النجدة من الثعبان .

3 – وظيفة إسعاف البطلة بالنجدة : يوافق الثعبان ويحمي الفتاة الصغيرة .

4 – وظيفة الصراع : يتصارع الثعبان مع الغولة .

5 – وظيفة الانتصار : ينتصر الثعبان على الغولة .

المقطع الرابع:

1 – وظيفة الانتقال : تنتقل الفتاة للعيش مع الثعبان .

2 – وظيفة الخداع : تخدع الغزالة الفتاة بان الثعبان سيلتهمها .

3 – وظيفة التواطؤ العفوي : تصدق الفتاة مزاعم الغزالة ولا تخبر الثعبان بذلك .

4 – وظيفة الإساءة : تفقد الفتاة جمالها ونظارتها من شدة الخوف من الثعبان .

5 – وظيفة طلب النجدة : تصارح الفتاة الثعبان الذي يقدم لها يد المساعدة .

6 – وظيفة إصلاح الإساءة : يتغلب الثعبان بذكائه على كيد الغزالة .

7 – وظيفة التعرف على البطل : يتعرف ابن السلطان على الفتاة السابعة .

8 – وظيفة المعاقبة : تعاقب الغزالة بذبحها .

9 – وظيفة الزواج : تتزوج الفتاة السابعة ابن السلطان وتعتلي عرش الملك .

العناصر المساعدة :

أ – عناصر الربط :

- **التذكير :** ظهر التذكير في الحكاية من خلال :

1 – الإخبار : حيث تخبر الفتاة السابعة الثعبان بما حدث لها مع الغزالة وبهذا يتقمص الثعبان دور الشخصية المساعدة .

2 – الحوار: من خلال حوار الغزالة مع الفتاة ومع ابن السلطان .

3 – المشاهدة : ساعد ت المشاهدة في ربط الفتاة بابن السلطان برباط ابدي وهو الزواج .

ب : الدوافع :

يقصد بروب بالدوافع " أسباب وأهداف الشخصيات التي تجعلها بأفعال مختلفة وغالبا ما تضيف الدوافع للحكاية لونا مميزا لكنها مع ذلك تنتمي لأكثر العناصر تغييرا وعدم استقرار في الحكاية ، وبالإضافة إلى ذلك فهي تمثل عنصرا اقل دقة وتحديد من الوظائف أو الروابط "

1 – دافع فعل الرحيل : بدافع أداء فريضة الحج .

2 – دافع فعل الشر : الأول هو رغبة الغولة التهام الفتيات ، والثاني يظهر جليا من خلال غيرة الغزالة وكيدها للفتاة السابعة .

3 – دافع الهروب : بدافع النجاة .

4 – دافع فعل المساعدة : ويقوم بهذا الدور الثعبان الذي يحمي الفتاة ويدافع عنها .

5 – دافع فعل العقاب : بدافع السعي لتحقيق العدل ونصرة المظلوم .

6 – دافع فعل الزواج : حيث يتزوج ابن السلطان الفتاة السابعة .

الشخوص	الأفعال	الدوافع
الوالد	الرحيل	أداء مناسك الحج
الغولة	الشر	التهام الفتيات
الغزالة	الشر	الغيرة
الفتاة	الهروب	النجاة
الثعبان	المساعدة	حماية
	عقاب	نصرة الحق
ابن السلطان	عقاب	نصرة الحق
	زواج	إعجاب

- دوائر الافعال :

أ – دائرة فعل البطل (الفتاة السابعة ، ابن السلطان) : وتشمل الوظائف التالية : هروب ، طلب النجدة ، انتقال ، تواطؤ عفوي ، التعرف على البطل ، معاقبة ، زواج .

ب – دائرة فعل المساعدة (الثعبان) : وتشمل صراع ، انتصار ، إصلاح الإساءة . ج – دائرة فعل الشر : (الغولة / الغزالة) : وتشمل : خداع ، إساءة ، مطاردة .

دائرة الفعل	الشخصية	الوظائف
دائرة فعل البطل	الفتاة السابعة	هروب ، طلب النجدة ، انتقال ، تواطؤ عفوي ، التعرف على البطل ، معاقبة ، زواج
	ابن السلطان	
دائرة فعل المساعد	الثعبان	صراع ، انتصار ، إصلاح الإساءة
دائرة فعل الشرير	الغولة	خداع ، إساءة ، مطاردة
	الغزالة	

طرق تقديم شخوص الحكاية :

أ – الشخصية البطلة : قدمت الشخصية البطلة متمثلة في الفتاة السابعة وكان ظهورها من بداية الحكاية الى نهايتها ، إلى جانب ابن السلطان الذي يعتبر شخصية بطلة لأنه ساهم في تسلسل أحداث الحكاية وهو من وضع النهاية السعيدة للإحداث .

ب – الشخصية المساعدة : مثلها بقوة الثعبان الذي واجه الغولة وقتلها ، فم واجه الغزالة ورد كيدها وأنقذ الفتاة من شرها .

الشخصيات	أنماطها	مظهرها الخارجي	صفاتها النفسية	مكان السكن	خصوصيات التقديم
الفتاة السابعة	بطلة	جميلة جدا	ذكية	الغابة	في الخالة الاستهلالية
الغولة	شريرة	بشعة	الخداع والمكر	الغابة	في بداية الحكاية
الثعبان	مساعد		طيب	الغابة	في منتصف الحكاية
الغزالة	شريرة	جميلة	الغيرة والخداع	القصر	قي منتصف الحكاية
ابن السلطان	بطل	فارس / شجاع	طيب	القصر	في نهاية الحكاية

يرى بروب ان كل حكاية ترتكز على ما يسمى بالحركة " ويمكن أن تطلق على أي تطور من فعل الشر أو الفقدان من خلال الوظائف الوسيطة إلى الزواج ونسمي مثل هذا النوع من التطور حركة وينشأ عن كل فعل شر أو فقدان حركة جديدة".

الإحالات :

1 – فلاديمير بروب " مورفولوجيا الحكاية الخرافية " ص 150 - 151

2 – المرجع نفسه ، ص 152

3 – المرجع نفسه ، ص 54 .

المحاضرة الثانية:

السيرة الشعبية / سيرة عنترة بن شداد.

يحيلنا لفظ السيرة دلاليا على الطريقة والسيرة السنة وهي أيضا الطريقة المحمودة المستقيمة . كما تدل على الحدث ، فيقال : سير سيرة حدث أحاديث الأوائل ، وتشير هذه الأخيرة إلى أمرين أولاهما تضمن اللفظ معنى الخبر والحكاية ، والثاني الإشارة إلى قدم مرويات السيرة .

والسيرة جمع سير وتعني الهيئة (السنة) أو الطريقة أو المذهب ونقول : سيرة الرجل أي صحيفة أعماله أو كيفية سلوكه بين الناس ، ومنه قولهم : من طالت سريرته حمدت سيرته ، وقد تعني القصة فيقولون سيرة عنترة أي قصته"[1].

أما اصطلاحا فتطلق كلمة سيرة على" أعمال كثيرة تتفاوت من حيث لغتها التي تصل إلى العربية الفصيحة مرة والى العامية مرات "

وقد رويت السير على ألسنة الناس منذ القديم ، ثم اتسعت وتضخمت بفعل الرواة الذين حفلت رواياتهم بالقصص والأعاجيب عن الأمم والجماعات وحتى الأفراد فملأت الدنيا أقاصيصهم الجميلة وشغلت بال وخيال الناس فتغنوا بها وحفظوها وتمرسوا في أدائها وإلقائها ، كما تفننوا في أساليب رواياتها وترديدها ، فإذا بالسير تتحول من مجرد قص عجيب إلى موضوع ضخم ينطوي على مادة تاريخية وخيال رحب ، مثل لنا صور البطولة وخوارق الأعمال ، كما صور لنا أخلاق العروبة ، ومحامد الخصال ، فالسيرة الشعبية تقدم صورة للنفس الأصيلة في شجاعتها و إيثارها وفي عزتها ، وفي عزمها وإبائها ، وفي وجودها وطموحها .

عانت السيرة الشعبية منذ فترة كبيرة من الإهمال وعدم الاعتراف بها ، فكانت مادة حكائية تراثية لا ينظر إليها إلا بنظرات الازدراء واللامبالاة ، وعدت السيرة تزيينا للتاريخ واستزادة على التراث ومحض خرافات وأباطيل .

إلى أن تغيرت هذه النظرة وعكف الدارسون على البحث فيها والتعمق في استخراج أسرارها فتنوعت الدراسات من المقالة إلى الأطروحة الجامعية ، فعاشت بذلك السيرة الشعبية فترة من التحول حيث انتقلت من وضع النص الشفوي إلى النص المكتوب الجدير بالدراسة والبحث .

فقد تميزت السيرة دائما بأنها فن مستقل بذاته له آلياته وقواعد روايته ، كما تميزت ببناء فني خاص يعتمد على تحقيق أهداف اجتماعية وسياسية مستقلة ومتميزة ، ولهذا من الصعب إدراجها ضمن الآداب الشعبية التي عبر بها الإنسان عن أدبه الشعبي منذ أقدم العصور ، فليست حكاية خرافية ولا حكاية بطولية رغم أنها تحمل من صفاتهما الشيء الكثير ، غير أنها تقف شامخة معتدة بنفسها تعلن عن تميزها وتفردها بالمقارنة مع بقية الفنون الأخرى ، فمن يتصدى لدراستها يجب أن يجهز نفسه للتعامل مع فن خاص يحتاج لولوجه وتفكيك شفراته إلى أدوات وفنيات خاصة .

ولعل السؤال الذي يطرح هو ما سبب هذا الاهتمام بعد الإهمال ؟ ولعل السر في ذلك يرجع إلى أن العالم العربي عرف مجموعة من التحولات الاجتماعية والتاريخية مع بداية عصر النهضة الذي ادخل العالم العربي في عصر الهيمنة الغربية فعرف الاحتلال والاستعمار وبدأت الحركات التحررية ومساعي المطالبة بالاستقلال والحرية وبناء مجتمع جديد يقوم على مقومات ورؤى جديدة .

هذه التحولات قادت العالم العربي إلى أن يعيد النظر في ذاته بتصحيح نظرته إلى تراثه ومخزونه الفكري والنظر إليهما من خلال العلوم التي بدأ العرب في الاطلاع عليها لأسباب

عديدة أهمها الاحتكاك بالثقافة الغربية ، وهيمنة أساليبها وأدواتها ومفاهيمها على الباحثين والدارسين العرب ، وعلى كل تحول حضاري وعلى صعيد هذه التحولات اهتم النص العربي بتصحيح النظرة إلى السيرة الشعبية التي انتقلت من وضع اللانص إلى اعتبارها نصا جديرا بالدراسة والبحث ، لأنه يحمل شحنة شعورية تمكن العالم العربي من التصدي و الوقوف في وجه كل التحديات الراهنة . " فالسيرة الشعبية العربية رغم ظهورها كأدب شعبي تأخر حتى العصور الإسلامية إلا أنها ربطت بين هذه المرحلة الإسلامية من حياة المنطقة وبين ماضيها الثقافي الوافد والموروث معا . وان كان هذا المزيج يدخلها كجزء من العطاء الشعبي الفني الإنساني بعامة ، إلا انه في نفس الوقت أعطاها خصوصية عربية مميزة ، ثم أعطاها آخر الأمر القدرة على التعبير عن الواقع الحضاري الإسلامي في عصوره المتعاقبة منذ انتشار الإسلام في المنطقة ، وحتى بدء حركة النهضة الثقافية والعلمية والأدبية المعاصرة " [2].

فقد جاء الاهتمام بالسيرة الشعبية تماشيا مع تغير نظرة العرب إلى التراث الشعبي عموما، إذ أصبح لا ينظر إليه على أنه أدب العوام الحقير وأن منتجيه ومستهلكيه أعراب رعاع، بل تحولت هذه النظرة إلى نظرة شبه تقديسية ،وكان لا بد أن يعاد النظر في الأدب الذي تنتجه العامة ، وأن يعكف على دراسته مجموعة كبيرة من الدارسين والباحثين .

" إننا هنا لسنا فقط أمام محاولة لإضفاء الطابع الشرعي على الأدب الشعبي ، ولكننا فوق ذلك أمام رؤية تقييميه جديدة ترى أن أدب الشعب أدل على البيئة ، بل وأصدق في التعبير عن الإنسان العربي"[3]

إن الاهتمام بالسيرة الشعبية كأحد أشكال الأدب الشعبي يمكننا من إعادة صياغة وكتابة التاريخ الاجتماعي والفكري العربي ، وتجعلنا نتصدى لكل الحملات التي اتهمت الفكر العربي بالقصور والنقص ، فنجد بين صفحات سيرنا العربية صورة مشرقة عن الفكر العربي المبدع الذي استطاع ان يحلق في أجواء إبداعية متفردة لا يشاركه فيها أحد ، فخلق قصصا بطولية تتغنى بالبطولة والشجاعة والفروسية ، فأخرج أبطالا عاشوا في ذاكرة الشعوب كنماذج مضيئة

للشجاعة والقوة وتحقيق الانتصارات إلى جانب الأخلاق العالية التي كانت على مر العصور مثالا يحتذي به كل قارئ شغوف بقراءة التراث والتلذذ بكنوزه الدفينة .

إن السيرة الشعبية تتحول عند الاهتمام بها والعكوف على دراستها إلى نص نموذج أو نص ملئ بالإثارة ، قابل للتوالد إذ تتولد عنه نصوصا عديدة كما أنها محملة بالعبر التي تساعد على تربية النشء تربية صحيحة ، إذ حاول القاص الشعبي عبر صفحات السيرة الشعبية العربية أن يرسم النموذج عبر بطل أو عدة أبطال استقاهم من التاريخ أو استعارهم بكل تفاصيلهم الحياتية الثابتة وأضاف إليها من خياله الواسع حوادث سهلت له عملية التعبير المطلق على كل ما يجيش في نفسه من صراعات وآمال وتطلعات وأحلام ليست في الحقيقة إلا تعبيرا صادقا ومرآة عاكسة لهموم الشعب العربي وآماله .

لذلك قال محمود ذهني : " تنفرد سيرنا الشعبية بما يميزها عن كل من الملحمة والقصص الغربي وهو وفرة الأهداف والمضامين التي تزخر بها كل سيرة من تلك السير سواء في عصر تأليفها وفيما تلاه من عصور ، لهذا استحقت البقاء والخلود " [4].

ثم يواصل كلامه فيقول " لقد أنشأت هذه السير كحاجة جماهيرية ملحة تقدم للشعب غذاءه الروحي فإذا درسنا الحياة السياسية والاجتماعية للأمة العربية اعتبارا من القرن الرابع الهجري فسوف نجد أن ما وقع من تغيرات وأحداث تطلب بالفعل هذا الإنتاج الفني الشعبي الذي يحتاجه الشعب ويرتاح إليه لأنه يحمل من المضامين والأهداف ما يلتقي بنزعات الناس آنذاك ."[5]

جمعت السيرة في مضامينها المتشعبة والكثيرة الحديث عن الروايات العاطفية أو الغرامية ، ولاشك أن وجود المرأة في سيرة بني هلال أضفى على السيرة صبغة عاطفية جميلة سلبت لب القراء وحملتهم إلى أن يعايشوا زمن الحب الجميل ولو متخيلا بين أسطر السيرة الهلالية المذهبة ، وكانت الجازية رمز المرأة الجميلة الفاتنة الذكية المحبة لقومها المدافعة عن شرف أهلها ،

كما مثلت دور المرأة التي يحلم بها كل رجل ، امرأة تحمل من صفات الكمال والجمال الشيء الكثير فقد كانت كالبدر التمام في جمالها وبهائها .

وحين أجدبت أرض نجد أوجد فرسان قبيلة بني هلال حبا آخر ملك عليهم حياتهم وسلب عقولهم وهو حب الأرض المنتظرة أرض الميعاد ، أرض الحلم حيث كانت تونس عشقهم الجديد الذي توج في الأخير بزواج مبارك حيث استقرت قبيلة بنو هلال ارض تونس التي دفعت في سبيلها كل غال ونفيس

كما حوت السيرة رواية البطولة والفروسية ، فقد كانت هذه الأخيرة عمادها الذي قامت عليه ، تدفع أبطالها في حركة دائمة نحو تحقيق ذواتهم والدفاع عن حياض القبيلة والرفع من شأنها .

" فسفرهم من نجد إلى الأرض الخضراء هو الريادة التي تمر بمراحل عديدة حتى الوصول إلى تونس الخضراء حيث يتعلقون بها " [6].

ويتوج كل هذا في مشهد خيالي جميل تصب فيه أحداث السيرة الهلالية التي أدخلت أفرادها بدافع العصبية القبلية التي جمعتهم تحت لواء واحد في مغامرات وحروب تشيب رؤوس الأطفال،" فالسيرة قصة حركة دائمة تدفع أبطالها إلى الأمام من خلال مجازفة عجيبة وهائلة يسودها القتال والحرب التي تشيب رؤوس الأطفال والنهب والسلب والاستئثار على ثروات طائلة، والاستيلاء على بلدان عظيمة والزواج ببنات ملوك " أجمل من البدر التمام" والاحتفال بالنصر والزواج في الغبطة والسرور والابتهاج أي نصر الهلالية وزواج شبابها "[7]

إلى جانب هذا كانت السيرة الهلالية قصة تحمل في طياتها بعض الحقائق التاريخية، ذلك أنها تستقي أحداثها من الوقائع التاريخية هذه الأخيرة مزجت بحس خيالي مبدع دفع الحقيقة التاريخية إلى صفحات السيرة فأصبحت شوارذ السيرة الهلالية تذاع بين الناس على أنها حقائق واقعية لا يشك في مصداقيتها فيتقبلها الراوي والقارئ على أنها رواية لما وقع حقيقة.

" فالنص الشفوي يعاد تأليفه سلعة الأداء ، يتم في عملية جدلية بين الراوي والمتلقي، واذا لم تتم عملية التفاعل فان النص يسقط ، فكل النصوص التي بين أيدينا هي بصورة أو بأخرى تأليف تم ساعة أدائه ، تأليف لا يبدأ من فراغ وإنما من تقاليد متوارثة ، فالسيرة التي تطول طولا واضحا ليس من السهل أن يحفظها الراوي بكاملها ، انه يحفظ الأساس ثم يبني عليه بناء جديدا من وصفه وحسه وتتم عملية تداخل لمحفوظة وما يمكن أن يتولد ساعة الأداء ، فهو يصيغ عالما متكاملا من صناعته من خلال تقاليد طويلة عاشها وترسخت في نفسه ومن خلال تقاليد عالمه الذي يعرفه ويشترك في معرفته جمهوره الخاص يأخذ النص في التوالد والبناء ليتكامل نصا لنوع أدبي اسمه فن السيرة"[8].

انتشرت السيرة شفهيا واصطبغت بصبغة العصور التي مرت بها ، وأخذت من ثقافة الأجيال التي روتها وأحبتها فكانت في كل مرة تخرج في ثوب جديد ، تلبي حاجات العصر الذي تروى فيه ، ان السيرة هي خلق جديد بلغة الأشياء والأحداث القديمة ، ولكنها تخرج دائما متزينة بزينة العصر الذي يتبناها ويعجب بها ، فتتحول السيرة إلى موروث ثقافي يصاغ بلغة العصر ومتأثرا بأحداثه ووقائعه .

سيرة عنترة بن شداد :

ينتمي عنترة إلى قبيلة بني عبس وهي قبيلة عريقة سيدها زهير ابن خديمة ، كما أنها تعد جمرة من جمرات العرب التي لا تحبذ التحالف مع القبائل ولا تصبر على من يعتدي عليها ، حتى ولو كان من أشد المقربين لها ، لذلك عرفت بالسطوة والقوة والبسالة ، إلى جانب شجاعة فرسانها .

ولد عنترة سنة 525 م لوالد من عبس فهو إذا : عنترة بن عمرو ابن شداد بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيبة ابن عب بن بغيض ، وقال ابن الكليب : شداد

جده أبو أبيه ، غلب على اسم أبيه فنسب إليه ، وإنما عنترة بن عمرو بن شداد وقال غيره : شداد عمه نشأ في حجره ، فنسب إليه دون أبيه "[9]

فعنترة إذا دارت حول نسبه العديد من الاختلافات الكثيرة بين الباحثين و الدارسين هذا من جهة الأب ، أما فيما يخص أمه فقد أجمع أغلب من ترجم له على أنه كان لأمة سوداء يقال لها زبيبة وقد سباها أبوه في إحدى غزواته فأولدها عنترة و كان لها ولد من غير شداد"[10].

ونظرا لسواد لونه نبذ واحتقر ، لذلك سارع منذ الصغر الى ركوب المصاعب حتى يشتد ساعده ثم تعلم الفروسية والمسايفة حتى أصبح فارسا قويا لايشق له غبار .

كما ساعدته البيئة الصحراوية على صقل موهبته في الفروسية وصلابة شخصيته ، فقد أكسبته الصبر شدة البأس ، إضافة إلى تحليه بصفة عربية أصيلة وهي الكرم ، فقد شهد له بالكرم والعطف على المحتاجين .وبالتالي فشخصية عنترة جمعت بين صفتين هما :

- القوة والسطوة .

- العطف والحنان .

أ - عنترة الشاعر :

يعد عنترة بن شداد واحدا من أبرز الشعراء الجاهليين ولا جدال في مكانته الشعرية، فهو أحد شعراء المعلقات الذين علقت أشعارهم على أستار الكعبة بعد أن كتبت بماء الذهب، وهذا دليل واضح ودامغ على مدى شاعريته ، لأننا نعلم أن العصر الجاهلي كان يتحرى فيه الشعر الجيد نظرا لسعة ودقة نظرتهم ومعرفتهم بالشعر الجيد من الشعر الضعيف ، ومطلع قصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

فعنترة شاعر فحل فذ من شعراء الجاهلية ، له ديوان شعري يدور حول الحماسة وما يلحقها من فخر إضافة إلى الغزل العفيف الرقيق ، وقد تميز شعره بميزتين هما:

- غنائي وجداني.

- قصصي ملحمي.

ب- عنترة الفارس:

يعد عنترة فارسا من بين كبار الفرسان العرب وقد خلدت هذه الفروسية سيرته الخالدة التي تحدثت عن الصراعات والقتال والأخلاق العالية ، كما لمسنا قوة قتالية لا يمكن مضاهاتها إضافة إلى بسالته وجرأته وتقديم الآخرين عن نفسه ،في سبيل أن تحي جماعته أو قبيلته حرة قوية.

ففروسية بطلنا عنترة تظهر أثناء معاركه فهو يتجه أول الأمر لأقوى فارس في كتيبة الأعداء فيرده قتيلا فيوقع الهلع في نفوس الأعداء ، ثم يخوض بقية الفرسان المعركة بعد أن أصبحت كتيبة الأعداء منهارة نفسيا فيحقق النصر وقد ذكر أنه : " قيل لعنترة العبسي : أنت أشجع العرب وأشدها قال : لا قيل فبماذا شاع لك في الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ولا أدخل إلا موضعا أرى منه مخرجا ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله "[11].

ويلخص عنترة أحوال الحرب بقوله : أولها شكوى ، وأوسطها نجوى وآخرها بلوى " [12].

- ج : عنترة العاشق :

لا يمكن الحديث عن عنترة دون الإشارة إلى حبه لعبلة ،التي ضحى من أجلها بالغالي والنفيس، كما خاض من أجلها العديد من الحروب ان لم نقل جلها .

فكلما ذكر عنترة ذكرت معه عبلة المحبوبة التي طالما تغنى بحبها وهام فيها عشقا وهياما ، فكأنهما روح متوحدة لا يمكن الفصل بينهما .

أحبك حب كرام الرجال وأقنع منك بطيف الخيال [13]

فحبه صادق عفيف يسمو إلى درجة العفة ولهذا لا ينساق وراء عاطفته فيقول :

وإذا لعب الغرام بكل حر حمدت تجلدي وشكرت صبري

وفضلت البقاء على التداني وأخفيت الهوى وكتمت سري [14]

لقد كان عنترة من خلال ما وضحته سيرته الشعبية رقيق القلب قوي العاطفة فحبه لعبلة " حب نبيل شريف يخلو خلوا تاما من كل نزعة جسدية وشهوة بهيمية ، وهو الحب النقي البرئ ذلك الحب الذي يرتفع عن الصغائر و يتنزه عن الدنايا ."[15].

ان معظم أبطال السير الشعبية هم أبطال تاريخيون وليسوا آلهة مخلدون ، لذا فمهما طال بهم الزمن أو قصر فلابد من الوصول الى النهاية الطبيعية للبشر جميعا ، وهي الموت ، ولقد اختار الرواة للسيرة نهاية مشرفة تليق ببطل خاص مثل عنترة العبسي حيث لم يهزم في معركة ولم يقتله فارس في قتال إنما اختار الراوي الشعبي ان يموت عنترة على يد خائن جبان أتاه خلسة دون مواجهة وطعنه بسهمه فأصابه في مكان حساس من جسمه حتى صرخ عنترة صرخة أرعبت قاتله فمات من الخوف والهلع ظنا أن عنترة لم يمت ،وهكذا ثأر عنترة من قاتله بصرخة واحدة أطلقها فمات قاتله قبل أن يموت عنترة متأثرا بهذه الضربة الغادرة ." لكن عنترة أدرك أن الخطر يداهمهم فأمر القافلة بالإسراع إلى الديار وركب صهوة جواده ووقف يحمي أهله ،واتكأ على رمحه ومات وهو على حالته هذه "[16]

ثم قاموا بدفنه اعترافا بفروسيته وشجاعته ، فمثله لا يترك في العراء عرضة للوحوش والسباع ، ثم أرادوا القبض على حصانه الأبجر لكنه اختفى ولم يعثر أحد على أثره بعد ذلك "[17]

مما سبق نستنتج أن كل هذه الصفات النبيلة والخصال الحميدة التي اجتمعت في شخصية عنترة جعلته خالدا عبر العصور ، ومثالا يحتدى به في الشجاعة والكرم والعفة والفروسية ، فكان بحق النموذج المثالي للبطل العربي الذي تطمح الجماعة أن يكون جميع فرسانها على هذه الصورة المشرفة .

الإحالات:

1 – ابن منظور "لسان العرب " ، مادة س ي ر .

2 – فاروق خورشيد " أدب السيرة الشعبية " الشركة العالمية للنشر ، ط 1 ، 1994 ، القاهرة ، ص 54 .

3 – سعيد يقطين " الكلام والخبر " المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1997 ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 89 .

4 – محمود ذهني " الأدب الشعبي العربي " مفهومه ومضمونه " مكتبة الانجلومصرية ، القاهرة، 1972 ، ص 125 .

5 – المرجع نفسه ، ص 125 .

6 – تغريبة بني هلال " مقدمة المحقق .

7 – التغريبة ، المقدمة .

8 – أحمد شمس الدين حجاجي " مولد البطل في السيرة الشعبية " ص 36 ــ 37 .

9 – عبد الحميد بورايو " القصص الشعبي في منطقة بسكرة " ص 116 .

10 – نبيلة ابراهيم " اشكال التعبير في الأدب الشعبي " ص

11 – ابن عبد ربه " العقد الفريد " ، تحقيق : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان . ط 3 ،ج 3 ، ص 94.

12 – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

13 – سيرة عنترة ، ص 18 .

14 – المصدر نفسه . ص 86 .

15 – شوقي ضيف " الحب العذري عند العرب " الدار المصرية . القاهرة ، ط 1 ، ص 9 .

16 – سيرة عنترة ، ص 287 .

17 – سيرة عنترة ،ص 287 .

المحاضرة الثالثة:

الأمثال الشعبية

تتباهى الجزائر على غرار بقية الدول الأخرى بتراث شعبي غزير يعكس أصالتها وعراقة أصولها وجذورها الضاربة في التاريخ ، الحاضرة دوما في أذهان العامة ، هذا التراث الغني المتنوع من حكايات وأغاني و ألغاز وأمثال هذه الأخيرة مرآة تنعكس عليها صور الشعوب وثقافتها ، وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها ، وهي معين لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع أو اللغة أو ثقافة الأمة بصفة عامة ، فمن يريد ذلك عليه بالأمثال الشعبية لأنها لصيقة بالمجتمع تروى في كل المناسبات وفي كل الأماكن ، بأسلوب شعبي بسيط فيه العبرة والفائدة وحسن انتقاء اللفظ .

تعريف المثل لغة :

1 – ابن فارس :

يعرف المثل يقوله : " مثل : الميم والثاء واللم أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء وهذا مثل هذا ، أي نظيره والمثل المثال في معنى واحد ، والمثل أيضا : كشبه وشبه والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكر مري به عن مثله في المعنى ، وقوله : مثل به اذا نكل وهو من هذا أيضا لأن المعنى فيه أنه اذا نكل به جعل ذلك مثالا لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه " .[1]

2 - ابن منظور :

يعرف المثل بقوله : " المثل الشيء الذي يضرب لشيء فيجعل مثله "

3 – محمد ابن ابي بكر الرازي :

" مثل كلمة تسوية يقال هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه والمثل ما يضرب به من الأمثال، والمثل الشيء أيضا بفتحتين صفته ، والمثال الفراش والجمع مثل والمثال أيضا معروف والجمع أمثلة ومثل . ومثل بين يديه انتصب قائما وبابه دخل ، ومثل به نكل به وبابه نصر ."[2]

4- الفيروز أبادي:

" المثل محركة الحجة والحديث ، وقد مثل به تمثيلا و أمتثله وتمثله ومنه مثل الجنة التي ، وامتثل عندهم مثلا حسنا وتمثل بالشيء ضربه مثلا والمثال المقدار وصفة الشيء والفراش."[4]

تعريف المثل اصطلاحا:

ابن المقفع:

"اذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق ، وأبين في المعنى و أدق في السمع وأوسع لشعوب الحديث"[5].

- ابراهيم النظام :

" يجتمع فيالمثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة."[6].

- أبو عبيد:

" الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والاسلام و بها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف" [7].

- المبرد :

" المثل مأخوذ من المثال ، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه."[8]

- ابن عبد ربه :

" الأمثال هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها في كل زمان ، وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل أسير من مثل . " [9].

أبو هلال العسكري:

"لما عرفت العرب الامثال تنصرف في أكثر وجوه الكلام ، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها ، ويسهل تداولها ، فهي من أجل الكلام أنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسر مؤنتها على المتكلم مع كثير عنايتها ، وجسيم عائداتها ومن عجائبها أنها مع ايجازها تعمل على الاطناب ولها روعة اذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ موكل في ما راع من اللفظ في المعنى . " [10].

- الزمخشري:

" ... ثم هي قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها، ونوادر حكمها وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع ... حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الافصاح".

- الزمخشري جمع بين أهمية المثل وخصائصه ، فالمثل في نظره يجمع بين متضادين اثنين فهو موجز العبارة ، مشبع في المعنى ، قصير العبارة مطيل المغزى مغرق في التصريح ، مكتفي بالكناية .

الفارابي :

" المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه وابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الذر ،ووصلوا به الى المطالب القصية ، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة . " [11].

- يرى الفارابي أن المثل وليد المجتمع بكل طبقاته ، كما أنه يلعب دورا هاما في حياة الإنسان ، كونه يشكل وسيلة وسيلة تحفيز لوصول الأهداف وبلوغ المقاصد والغايات .

- أحمد أمين :

" المثل نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه ، وجودة الكناية ، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم ، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب" [12].

- خص أحمد أمين المثل بخصائص أربعة تتمثل في إيجاز اللفظ ، حسن المعنى ، لطف التشبيه، جودة الكناية ، غير أنه أضاف خاصية الشعبية لأنه مرتبط بالشعب أكثر من ارتباطه بالفرد.

- عبد الحميد يونس:

" المثل مصطلح يدل على جنس أدبي شائع يوجد في تراث الأمم و الشعوب ، يتسم بالإيجاز والشيوع وليس من الضروري أن يكون المورد مستخلصا من الحياة اليومية أو من الأحداث الواقعية المشهورة ، بل هي تصدر عن موقف . " [13]

- فوزي العنتيل :

" المثل تلخيص للخبرة اليومية في تناولها للحياة ولا يعبر عن مثل أخلاقية صعبة المنال "[14]

ويقول أيضا : " ومهما يكن من أمر فان الأمثال الشائعة هي مجازات مستقاة من الحياة اليومية ،أو من ملاحظة الطبيعة ، أو ملخصات محبوكة للخبرة ." [15].

- رشدي صالح :

" الأمثال بنود في دستور غير مكتوب ، تعبر عن تجارب العامة ، وتصور مواقفهم من مشكلات الحياة ، فلا نجد وجها من وجوهها إلا وأطلق فيه العامة عشرات الأمثال والأقوال"[16]

تعريف المثل عند الغرب :

جاء في معجم " لاروس" اللغوي: "المثل حكمة معبر عنها بكلمات قليلة ثم صارت شعبية"[17].

- الكسندر كراب :

يعبر المثل في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر سهل حتى يتداوله جمهور واسع من الناس" [18].

- فريديريك زايلر :

القول الجاري على ألسنة الشعب ، الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة ." [19].

خص زايلر المثل بثلاث خصائص هي:

- أنه ذو طابع شعبي.

- ذو طابع تعليمي .

- ذو شكل أدبي مكتمل .

- وهكذا احتلت الأمثال مكانا مرموقا في قلوب الناس ، ومثلت جزء لا يتجزأ من ذاكرتهم وثقافتهم ، لأنها تعبر عن عقلية شعبية عامة ، ولذلك قيل " المثل صوت الشعب " .

الخصائص الفنية للمثل الشعبي :

1 – الإيجاز :

الإيجاز سمة بارزة من سمات المثل ، فصاحب المثل يقول كل شيء في أقل عدد ممكن من العبارات ،وهو إيجاز جامع مانع ، لا يحتاج معه إلى أي شرح أو إضافة ، مكتف بلفظه ومعناه، وفي الكثير من الأحيان يستعمل المثال لغة عامية بسيطة و لكنها تسمو عن الكلام العادي ، بإيجاز اللفظ و إصابة المعنى . مثل قول العامة : " الدايم ربي " ، " الصابر ينال ".

2 – إصابة المعنى:

المثل دقيق في تعبيره عميق في نفاذه إلى الحالات النفسية الكامنة وراء السلوك ، فيعالج القضايا بطريقة جيدة وصورة متقنة ،فيصيب الهدف من أقرب مرمى ، وذلك بالوصول إلى العمق ولمس الجوهر المقصود وبأفضل تعبير مثل قول العامة : " حرش نابك الناس تهابك " .

3 – حسن التشبيه :

تنطوي الأمثال الشعبية على جملة من التشبيهات اللطيفة والهادفة ، هذه التشبيهات تزيد من قيمة المثل البلاغية ، وتساهم في تقريب المعنى وتوضيحه .

مثل قول العام " الدار بلا كبير كي السانية بلا بير "

4- جودة الكناية :

حظ الكناية في الأمثال الشعبية هو نفسه حظ التشبيه ، إذ وردت الكناية بشكل مكثف حتى غدت من أهم مميزاتها ، وهذا راجع لطبيعة العقلية الشعبية التي تجنح كثيرا للأساليب غير المباشرة في كلامها مثل قولهم : " قلب المرا لحمة ، وقلب الراجل فحمة " الأول كناية عن العطف والحنان و الثاني كناية عن القسوة والغلظة .

5 – وجود الرنة الموسيقية :

مثل قول العامة :

" اول تعوس وثاني تعوس وثالث تعوس "

أول تعوس على اللي يركب الدابة ويقول اوس

و ثاني تعوس على اللي يدي الهجالة ويقول أنا عروس

وثالثة تعوس اللي يلبس القندورة بلا برنوس "

كما تستخدم الأمثال الشعبية الاسم الموصول " اللي " الذي "

" اللي يحب العسل يصبر لقرص النحل "

" اللي يحب الزين يصبر لعذابه "

تحليل بعض الأمثال الشعبية :

" ألي فاتو الطعام يقول شبعت ، واللي فاتو الكلام يقول سمعت "

يشير هذا المثل إلى الصفات التي يتحلى بها الإنسان ، وهي دعوة صريحة للابتعاد عن التدخل في شؤون الغير ، و الابتعاد عن التطفل لانه من الأخلاق السيئة والمذمومة في المجتمع.

العناصر البلاغية في هذا المثل :

1 – الإطناب :

والإطناب من أهم الآليات الحجاجية ، فهو يزيد من شدة حضور السامع وذلك بالإطالة والتقديم . وصياغة المثل فيها من الإطالة وتمديد فترة الكلام ما يفسح للمتكلم مساحة للفهم و هذا بأسلوب بطء القصد منه التأثير وزيادة الانفعال .

2 – التكرار :

معظم الأمثال لا تخلو من آلية التكرار فهو عنصر حجاجي مهم يساعد على اقناع المتلقي وشد انتباهه، وزيادة توضيح الفكرة المطروحة ، فمن خلال المثل نلاحظ تكرار العديد من الألفاظ وهي: (اللي ، فاتو ، يقول) وكل هذه الألفاظ المكررة تزيد من حضور الفكرة في ذهن المتلقي ، وتزيد من قوة التأثير في السامع وجلب انتباهه .

3 – انتقاء اللفظ:

الألفاظ عنصر لغوي فعال يساعد المخاطب على ايصال الفكرة المراد توضيحها ، مما يستوجب عليه انتقاء ألفاظه بدقة ضمن سياق موضوعه ، فهذا المثل كلماته دقيقة ومحددة ، تخدم الموضوع المراد ، ورغد أن الأسلوب غير مباشر الا أن المفهوم واضح وجلي بدليل أن كل من يسمع المثل يفهمه مباشرة .

فالالفاظ المستعملة سهلة الفهم " اللي ، فاتو ،الكلام ، يقول ، سمغت ، الطعام ، شبعت " فهي ألفاظ واضحة لا لبس فيها ، الى جانب انتقاء اللفظ هناك طريقة تركيبها فهي من الأمور التي تؤثر وتساعد على استيعاب وفهم الفكرة المطروحة ، فمن خلال المقاربة التالية يتبين مايلي:

- اللي فاتو الطعام اللي فاتو الكلام

- يقول شبعت يقول سمعت .

فهذا التركيب اللغوي خلق إيقاعا موسيقيا زاد من جمال المثل .

4 – الروابط الحجاجية :

يبرز رابط حجاجي واحد وهو " الواو " الذي ربط بين الفكرة الأولى والفكرة الثانية ، فالواو هي الرابط بين القضيتين المطروحتين .

- الرابط الحجاجي الواو

- الفرضيات فاتو الكلام ، فاتو الطعام

- الرمزية الكلام ، الطعام

الالتفات إلى الأزمنة :

هدفها هو التأثير في السامعين وجلب انتباههم ، وعدم إحساس المتلقي بالملل ، حيث انتقل المثل من زمن الماضي " فاتو " ، أشبعت ، أسمعت ، الى زمن الحاضر " يقول "، هذا الانتقال من زمن إلى زمن آخر يساعد على خلق الحركية الزمنية في المثل مما يساعد على استمالة المستمع وإقناعه وشده للموضوع المعالج.

- الماضي: " فاتوا " ،" سمعت " ، " سمعت "

- الحاضر : " يقول " ، يقول " .

التلميح :

هذا المثل فيه تلميح و إشارة ، فالمخاطب لم يوضح المقصود من هذا المثل بصفة مباشرة ، وإنما ترك المقصود مفتوح ليفهمه المتلقي ، إذ أن المثل يتكلم عن التطفل ، ولكن بطريقة غير مباشرة مشيرا إلى هذه الصفة بأسلوب لغوي يحتاج إلى التمعن والتفكير من أجل الفهم و تفكيك عناصر المثل .

فالمثل الشعبي وان كانت لغته عامية بسيطة تفهم من الجميع ولا تحتاج إلى ترجمان إلا أن هذه اللغة تسمو عن الكلام العادي بجودة التركيب وحسن الصياغة وجمال العبارة ، تحتاج لفهمها إلى العمق والتروي وحسن الفهم ، وخاصة في مثل هذا المثل الذي يعبر عن المقصود بطريقة فنية جميلة تتطلب من المتلقي إلى التأويل والقراءة والتحليل للوصول إلى الغاية المطلوبة.

التورية:

التورية هي آلية حجاجية تساعد المخاطب على جلب انتباه المتلقي ،وهي تعويض كلمة بمجموعة من الكلمات ، فيبرز هنا :

التطفل

اللي فاتو الكلام يقول سمعت الي فاتو الطعام يقول شبعت

- **الترادف :**

هو تكرار ولكن بألفاظ مختلفة وهذا ما ما يبدو في هذا المثل :

- اللي فاتو الطعام = فاتو الكلام

- يقول شبعت = يقول سمعت

- والترادف يؤتى به لتأكيد الفكرة وزيادة حضورها .

حجة شبه منطقية مبنية على الواقع المعيش :

يتضمن هذا المثل حجة قائمة على الواقع المعيش ، فهو يعالج قضية اجتماعية هي "التطفل" الذي يعتبر من الصفات السيئة في المجتمع ، لأن التدخل في شؤون الغير أمر قبيح ومستهجن ولا يقبله المجتمع أبدا ، فدور الحجة هو الربط بين القضية المطروحة والواقع .

الإحالات:

1 – ابن فارس " معجم مقاييس اللغة " ج 5 ص 296 / 297 .

2 – محمد ابي بكر الرازي " مختار الصحاح " ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، ص 390.

3 – الفيروز آبادي " القاموس المحيط " ، ج 4 ، فصل الميم ، ص 49 .

4 – أبي الفضل " مجمع اللأمثال " ج1 المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ص 34 .

5 – عبد الحميد بن هدوقة " أمثال جزائرية متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج " ، الجزائر ، 1992 ، ص 11 .

6 – السيوطي " المزهر " ج 1 ، ص 476 .

7 – أبي الفضل أحمد " مجمع الأمثال " ، ص 10 .

8– المرجع نفسه ، ص 33 .

9 – عبد الرحمان التكريتي " دراسات في المثل المقارن " ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد العراق ، 1984 ، ص 17 .

10 – أبي الفضل أحمد " مجمع الأمثال " ، ص 9 .

11 – السيوطس " المزهر " ، ص 476 .

12 – أحمد أمين " قاموس العادات والتعابير " مكتبة النهضة المصرية ، لبفاهرة ، ط 1 ، 1953 ، ص 61 .

13 – عبد الحميد يونس " معجم الفولكلور " الهيئة المصرية العامة للكتاب " ، القاهرة ، 1973 ، ص 53 .

14 – فوزي العنتيل " بين الفولكلور والثقافة الشعبية "، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1978 ، ص 311 .

15 – المرجع نفسه ، ص 314 .

16 – رشدي صالح " الفنون الشعبية " دار القلم ، القاهرة ، 1961 ، ص 36 / 37 .

17 – عبد الحميد بن هدوقة " أمثال جزائرية " ، ص 12 .

18 – الكسندر كراب " علم الفولكلور " ،دار الكتاب العربي ، ت رشدي صالح ، 1967 ، ص 235 .

19 – نبيلة ابراهيم " أشكال التعبير الشعبي " ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة ، ص 175 .

المحاضرة الرابعة:

الألغاز الشعبية

تعريف اللغز لغة:

اللغز في أصل وضع اللغة من: لغز اليربوع جحرته وألغزها : حفرها ملتوية مشكلة على داخلها، ولغز في حفره .

- واللغز : الكلام الملبس وقد ألغز في كلامه ، يلغز في كلامه : يلغز ألغازا إذا وري فيه وعرض ليخفي والجمع ألغاز [1].

اصطلاحا:

تعرفه الدكتورة نبيلة إبراهيم : " انه شكل أدبي شعبي قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية ، كما أنه يساويهما في الانتشار ، ولم يكن اللغز مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها بين ثلل الأصحاب في الأمسيات الجميلة ، وهذا ما يدفعنا لان نبحثه بوصفه عملا شعبيا أصيلا شأنه شأن الأنواع الأدبية ، واللغز في جوهره استعارة والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي ، إدراك الترابط والمقارنة وإدراك أوجه الشبه والاختلاف على أن اللغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة التي تنجم عن احتواء اللغز لعنصر المفاجأة "[2].

فالألغاز هي استعارات وكنايات وتشبيهات ، وهذه دلالة على أن العقل البشري أدرك الترابط بين الدال والمدلول ، أي الانسجام بين اللفظ و محتواه ، فينتج عن ذلك صيغة لغزية مترابطة المعنى ، تحمل دلالات مخفية على المتلقي أن يجهد عقله في البحث عن حلول لها .

- **تعريف عبد المالك مرتاض :** " هو التعمية في الكلام على المتلقي ." أي أن اللغز يرتكز على الأسلوب الغير مباشر في صياغة السؤال واستخدام المفردات والألفاظ المبهمة والمعقدة من أجل تشويق وتشويش المتلقي لإعمال عقله لفك شفرات هذه الألغاز .

- ويبقى اللغز كلمة سر تسمح عن طريق النطق بالدخول في مجتمع مغلق ، هذا المجتمع هو جماعة الحكماء والعارفين ، الذين سبروا أغوار الحياة و تفكروا في الخلق والمخلوقات ،فجاءت ألغازهم نتيجة خبرة و معرفة ، " أنهم جماعة المتضلعين العارفين بأوليات الحياة ، وإذا شاء إنسان أن يدخل ضمن هذه الجماعة فلابد أن يكون متضلعا عارفا مثلهم ، فهم يفتحون الطريق لسائر البشر عن طريق كل الألغاز للدخول في زمرتهم" [3].

- ان وضع الألغاز لم يكن اعتباطيا ، وإلا لما خرج بهذه الفنية البارعة من قبل واضعها ، ولا بد أن يكون الملغز أو المحاجي قد بذل جهدا كبيرا في صياغة ألغازه التي تضع المتلقي في مأزق فمن جهة يجد في هذه الممارسة اللغزية متعة كبيرة و من جهة أخرى يجد نفسه في حيرة لعدم إدراكه لعناصر الترابط التي يفرضها هذا اللغز أو ذاك .

" وهذه الظاهرة ليست عادية في هذا النوع من الأدب الشعبي إذ أن العقل البشري لا يصبح قادرا في مألوف العادة على إدراك الترابط ، ومعنى العلاقات الدلالية والصوتية المختلفة بين اللفظ و محتواه ، أي بين الدال والمدلول إلا حين يرقى ويتضح .

وأما عن بنية اللغز فهي : الشيء المجهول + وصف + عبارة مضللة

مثل قول العامة : " تبدى بالسين لا هي سلسلة ولا هي سكين وتحكم حكم السلاطين " فاللغز الشعبي يحمل السؤال والجواب في صيغته وعلى الذي يتصدى للإجابة أن يكون كيسا فطنا يجمع بين العناصر المترابطة ويعمل على فك شفرات اللغز المطلوب .

فاللغز الشعبي قديم قدم الإنسان ، الذي كان يحاول التلاؤم مع مظاهر الطبيعة وظواهر الحياة ،" ان اللغز الشعبي نشأ حيث كان العقل البشري يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به ، ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نضارة ازدادت الرغبة في إدراك ظوهر الحياة وإدراك القوانين التي تحيط بالإنسان ومن ثم فان الأطفال يحبون الألغاز ومثلهم البدائيون، لهذا فإننا نجد الأنواع الأدبية الشعبية مثل الأسطورة والحكايات الشعبية والحكايات

الخرافية تتضمن الألغاز ، فاللغز يشير إلى غموض الحياة وهو في الوقت نفسه يمثل إدراك العقل البكر ." ()

المضامين العامة للألغاز الشعبية :

ان المتمعن في مضامين الألغاز الشعبية يجدها على درجة كبيرة من العمق تنبئ عن ذكاء الإنسان الشعبي وقدرته الفائقة في صياغة ألغاز على درجة معتبرة من الذكاء والفطنة ، إلى جانب أنها مجهولة المؤلف شأنها في ذلك شأن كل أشكال التراث الشعبي التي تذوب في عموم الشعب ما يمنحها القوة و الأهمية ، فلا تجتمع الجماعة على باطل أو ناقص أو غير مهم ، وإنما تواضعها وتبنيها للألغاز الشعبية هو جواز سفر إلى الأبدية والخلود ، فما تقبله الجماعة لا يرفضه الفرد .

أما عن محاور الألغاز فنجدها متشعبة تبعا لتشعب الحياة التي نحياها ،وهي :

- الإنسان وأعضاء جسمه .
- الحيوان و الطير .
- الآلات والسلاح .
- النباتات والفواكه .
- مظاهر الطبيعة .
- المؤسسات (السجن ...الخ).

فمن "الواضح أن موضوعات الألغاز متنوعة جدا تبعا للبيئات التي طرحت فيها، وللأشخاص الذين أرسلوها، وللمستمعين الذين تلقوها، فمنها ما هو بدوي ومنها ما هو قروي ،

ثم منها ما هو زراعي ، ومنها ما هو ثقافي ، ومنها ما هو حضاري ، ومنها ماهو فلسفي ، أو شبه فلسفي ، ومنها ما هو طبي ، ومنها ما هو تعليمي ، وهلم جرا ... " [4].

أ – الألغاز الخاصة بالإنسان:

حظي الإنسان بنصيب وافر من اهتمام الألغاز الشعبية ، واغلب الألغاز تبدأ " حاجيتك كون ما هو ما ما جيتك " ويقصد بذلك الرجلين .

- المرأة :

حظيت المرأة بمكانة محترمة وعالية ولذلك أولاها الملغز أهمية كبيرة وكانت محور ألغازه الشعبية ، ومن بين الألغاز نذكر :

"جيم والجيم حية في قاع البير، ما عرفناها قمح ولا شعير " فقد شبه الجنين بالسنبلة التي اما أن تحتوي القمح أو الشعير . وهو نفس اللغز ولكن بصيغة أخرى، فقد تشترك الألغاز في الحل الواحد مع اختلافها في الصيغة اللفظية، " على مطمورتنا في الهنشير ما عرفناها لا قمح ولا شعير " فقد شبهت المرأة الحامل بالمطمور أي الحفرة التي يخزن فيها الطعام، والمقصود أن المرأة حامل و لا نعرف ان كان جنينها ذكر أم أنثى.

- اهتم الملغز كذلك بإعطاء صورة المرأة داخل البيت وخارجه ، والأعمال التي تقوم بها، " فمهما درست فمصيرها الطبخ والكنس والمسح وإنجاب الأطفال "، ومن بين الإلغاز نذكر:

"ثلاثة وقوف ، والرابع منسوف ، والخامس يضرب ويشوف " يصف اللغز الأشياء المستعملة من طرف المرأة ويقصد هنا " الشكوة " وهي أداة تستخدم لجعل الحليب لبنا حيث تضعه المرأة في هذه الشكوة وتبدأ في تحريكه حركات متكررة حتى تستخلص منه اللبن والزبدة.

- كما يستخدم صاحب اللغز بعض العبارات المتعلقة بالبيئة ، حيث يتعذر علينا فهمها الا بالرجوع إلى خصوصيات اللهجة التي نبع منها اللغز ، وفي الجزائر لهجات كثيرة عبرت عن الحياة برمتها وحتى نستطيع فك شفراتها نحتاج إلى معرفة اللهجة ، ولا شك أن هذه العملية تعمل على تقريب اللهجات و توحيد المناطق التي تشكل عموم الثقافة الشعبية الجزائرية .

ومن بين هذه الإلغاز نذكر :

"ثلث ثنانر والثنيرة والثانيثور و الزعتكط والزناد يشحط " ثنانر اللتايف " والثنيرة هي الطنجرة أو " البرمة، و اما الثانيثور فهي " الكسكاس "و الزعتكط فهي قطعة القماش التي تلف على الاناء المثقوب " الكسكاس " من اجل منع البخار من الخروج من الطنجرة وحتى يطهى الطعام بشكل جيد ، وهي ما يطلق عليها كذلك " القفيلة " ، و" الزناد يشحط " يقصد بها البخار المنبعث من الطعام .

الحيوانات في الألغاز الشعبية :

- البقرة : " على ربع طبة جاو من بلاد الطب ، الدوايا فضة و لقلامة ذهب " يقصد هنا البقرة ، أربعة أطباء هو ضرع المرأة ، والدواء هو الحليب الذي يخرج من الضرع ، وهو شفاء للجميع ، شبه الحليب بالفضة لبياض لونه ، واما لقلامة ذهب فهة رأس الضرع التي يميل لونها الى الصفار كصفرة الذهب الخالص .

الخضر والفواكه:

" من فوق مرج ومن الوسط ثلج ومن أحمر كيف السرج " ...البطيخ

جدة كبيرة ومتكبرة ورجليها فالارض غاصوا تولد وليداتها كل واحد الكبوسة على راسه ..البلوط " سطيلة قد الكف تعبي مية والف " .. الرمان

أعضاء الإنسان :

"كلى عشاك وارقد حداك " ...البطن

"على اللي يبدا بالحاء واخته تحته سدات هو ما يحب الزيادة وهي ما تحب الضيف يبات ..العين والحاجب

" الثلج صب على السواحل كسر الرحوات وزاد المطاحن " ...الأسنان والأضراس .

مظاهر الطبيعة :

" لبيض يبزغ ولكحل يلم " ...الليل والنهار

" يمشي بلا راس ويحفر بلا فاس " ...الماء

الحيولنات والحشرات :

" طفيلة قل منك وتخدم خير منك " ...النحلة

" مزود صوف يبات يشوف " ...الكلب

" يكبر ما يشيب " ...الغراب

الآلات والأدوات:

" جماعة في حانوت اللي يخرج يموت " ...الكبريت

"كرشها سلاسل وظهرها مفاصل أعرفها ولا بات حاصل " ...الساعة

دابتنا نصرية ما تحبس ما تقول انزلوا عليا " ...الطاولة

الألغاز المركبة:

" مدينة بلا كلاب ونو بلا سحاب وخط بلا تراب " ...المقبرة ، الدموع ، الكتابة

" ثلاثة سردي بردي ، زثلاثة حشيش يندي ، وثلاثة نارهم تقدي ، وثلاثة قلع وادي " الشتاء ، الربيع ، الصيف ، الخريف .

"سرب سرساب وخراط الشعاب ومقطوع من الذرية " ..الثعبان ، الماء ، والبغل

"الارض فضة والمحراث ذهب ، الزريعة تتكلم والله اعجب " ..الورقة ، القلم ، الكلمات .

المميزات الفنية للغز الشعبي :

- الجمل القصيرة .

- السجع.

- الجناس.

- الموسيقى والإيقاع الداخلي الخفيف والسريع.

- التلاعب الصوتي.

- التكرار والرمزية.

- تنوع صور التعبير عن الموضوع الواحد.

الحالات :

1 – ابن منظور " لسان العرب " ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 2000 مادة لغز ، ص .

211

2 – نبيلة ابراهيم " أشكال التعبير في الأدب الشعبي " ، ط 3 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ص 97 .

3 – المرجع نفسه . ص 191 .

4 – محمد السعيدي " الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 205 .